أزمة مياه خانقة تعيشها الأغوار
مع بداية الاستعداد للموسم الزراعي الشتوي

اذا ما قدر لشخص ان يسير في الاغوار بمحاذاة نهر الاردن بدءا من جنوب اريحا وانتهاء بقرية بردلة شمالي الاغوار، تسترعي انتباهه وعلى الجانبين برك السباحة التي تنتشر في المستوطنات وتخفف على ساكنيها قيظ الاغوار اللاهب، ورشاشات الماء تنثر رذاذها على حشائش الانجيل الخضراء ليستمتع بها المستوطنون في الامسيات، ان مثل هذا المسافر لن يخطر بباله اطلاقا ان تفتقر اعشاش الفلاحين الفقيرة التي يمر بها الى المياه، وان مزارعي الاغوار لا يستطيعون ري زراعتهم التي هي مصدر رزقهم الوحيد.

وكان مزارعو منطقة الاغوار قد بداوا منذ اوائل شهر ايلول الجاري بتحضير اراضيهم استعدادا لاعادة زراعتها، وذلك بعد خروجهم من موسم زراعي، اصيبوا فيه بخسارة فادحة، ومع بدء تحضيراتهم ووجهوا بنفس السؤال الذي يشغل بالهم مع بداية كل موسم زراعي الاوهو "كيف سنروي اراضينا؟" خاصة مع ازدياد عدد المستوطنات، وازدياد الخطوات العملية لتوسيع هذه المستوطنات الزراعية.

وقد اخذت منطقة العوجا كعينة بسيطة، وما اصبح عليه حال المزارعين في هذه المنطقة، وبماذا تنذر هذه الازمة بالنسبة لمزارعي غورنا الفلسطيني، بالاضافة الى جدولين زراعيين يبرزان مجموعة من الحقائق التي ترافق هذه الازمة، ورأى احد المهندسين الزراعيين في هذا الموضوع.

أسباب الأزمة

ان السبب الاساسي في تفاقم هذه الازمة هو المستوطنات الزراعية الاخذة بالازدياد عاما بعد آخر والتي اقيمت على حساب الاف المزارعين الفلسطينيين من خلال سحب مصادر مياههم ومنعهم من البحث عن مصادر جديدة للري بحجة الامن، عدا عن قيام شركة "مكوروت" الاسرائيلية بحفر ابار ارتوازية منظمة وموزعة على كافة مناطق الاغوار وبعمق يتجاوز الـ ٥٠٠ – ٦٠٠ متر في حين ان الابار الموجودة في المناطق العربية لا تتجاوز اعماقها الـ ٥٠ – ٦٠ مترا.

قبل اربع سنوات تقريبا في شهر اب من عام ١٩٧٩ صرح احد المسؤولين في الحاكمية العسكرية لمراسل صحيفة الجيروسالم بوست "ايان بلال" بان من واجبات الحكم العسكري تنظيم توزيع مصادر المياه والمحافظة على توزيعها تبعا للاحتياجات الاقليمية، وصرح هذا المسؤول ايضا بان مصدر المياه المسحوبة للمستوطنات الثلاثة المحيطة بمنطقة العوجا ليس نفس المصدر الذي دأب مزارعو العوجا على الانتفاع به منذ مئات السنين"!

اما مزارعو العوجا، ومع اطلالة كل موسم زراعي، فانهم يكذبون هذا الادعاء ويقولون بان هناك تأثيراً مباشراً لمضخات المياه المربوطة بالمستوطنات، والتي تأخذ حاجتها عادة من حوض مياه نبع العوجا، ويضيفون بان الكمية التي تأخذها المستعمرات هي كمية غير محدودة بحيث انهم يأخذون الكمية التي يحتاجونها، لتحويل مستوطناتهم الى جنات خضر واراضينا الى صحار قاحلة"!

الاجراءات والقيود الاسرائيلية والاردنية التي عاناها مزارعو الاغوار في الموسم الماضي دفعت بمزارعي منطقة العوجا كسائر مزارعي منطقة الاغوار الى البحث ايضا عن وسائل تضمن لهم الاستمرار في معيشتهم وعدم ضرب محصولهم، بحيث قلصوا مساحات اراضيهم التي كانوا يزرعونها بالخضروات واصبحوا يركزون على زراعة الموز فقط، ويتبين من الجدول الاحصائي رقم (١) كيف ان المساحات المزروعة بالموز في منطقة العوجا لهذا العام، توازي ضعف المساحات المزروعة بالموز في نفس المنطقة عام ١٩٨١ تقريبا وذلك على حساب زراعة الخضروات علما بان هناك امكانيات كبيرة لضرب هذا المحصول خاصة وان شجرة الموز تحتاج الى ري متواصل. وفي نفس الوقت تؤكد المعلومات الصادرة عن مجلس المستوطنات بانه تم اقرار زراعة ١٠٠ دونم بالموز في كل مستوطنة دون احداث اي تقليص في مساحة الخضروات المزروعة.

حال المزارعين!

المزارع احمد صعايده وهو مزارع كبير في منطقة العوجا وصديق للطليعة منذ موسم "البطيخ الماضي" حيث عانى كثيرا من جراء القيود الاسرائيلية والاردنية قال "لقد اضطررت الى ترك الارض التي تضمنتها في الموسم الزراعي الماضي، وذهبت الى منطقة الجفتلك للزراعة هناك نتيجة نقص المياه وقيام اصحاب - الارض بزراعتها بالموز، وتركي للارض القريبة من منطقة سكناي يعني تكبد نفقات اضافية، وزيادة تكاليف الانتاج، وبشكل اساسي تقليص المساحات التي زرعها بنسبة تتجاوز النصف على الاقل.

المزارع سليمان البجالي وهو يملك ارضا وبئرا ارتوازية قال "لقد سبب وجود مستوطنتي نطاف ونعران المقامتان على اراضي قرية العوجا ازمة كبيرة في مياه الري التي نستخدمها لاراضينا، واضاف انه وعلى الرغم من وجود بئر ارتوازية لدى الا ان هذا البئر لايكفي لري جميع محاصيلي الزراعية، خاصة وان الموسم الماضي والحالي هما موسما جفاف من ناحية مناخية وقد اثرا بشكل مباشر على جميع مزارعي منطقة الاغوار، الامر الذي سيضطرني الى تقليص زراعة الخضروات بنسبة ٧٥ بالمئة على الاقل. وتطرق السيد سليمان في حديثه الى ان الحاكم العسكري حدد قيودا جديدة على مالكي الابار الارتوازية بحيث فرض عليهم استهلاك ٩٠ الف كوب سنويا من هذه الابار فقط وهدد بمعاقبة من يتخطى هذا الرقم!؟

اما المزارع جمال خلف، وهو مزارع صغير فقد قال "ان عدد المزارعين الصغار في منطقة الاغوار يتجاوز ثلثي عدد العاملين في مهنة الزراعة، وهؤلاء المزارعون هم اكثر الفئات التي تضررت في الموسم الماضي، واصبحت الديون تكبلهم من جراء خسارتهم بحيث لم يعودوا قادرين على تحملها" ومع تفاقم ازمة الري وارتفاع التكاليف الانتاجية للمحصول لم يعد المزارع الصغير قادرا على الاستمرار في العملية الانتاجية!؟

والذي يلفت الانتباه في احاديث المزارعين (ومن الحائز اعتبار كل مزارع منهم على اساس انه عينة عن وضع فئة كاملة) ان جميع هؤلاء المزارعين قد تأثروا جراء انخفاض منسوب مياه الري وان كان التأثر بنسب متفاوتة، وانهم اصبحوا يعانون من نفس الخطر ووضعوا امام نفس علامة الاستفهام في امكانية استمرار زراعتهم او ادنارها؟!

ما تزرعه الغربان!

النتائج التي ستجرها ازمة الري، عدا عن تقليص المساحات المزروعة بشكل قسري، كثيرة جدا لعل من ابرزها، هجرة المزارعين الصغار لاراضيهم، بهدف ايجاد فرصة لتأمين لقمة العيش في سوق العمل الاسود، ففي قرية العوجا مثلا تشير احد الاحصائيات الزراعية التي اجريت في شهر حزيران من العام الجاري بان ٥٠ بالمئة من المزارعين الصغار قد توجهوا للعمل في المزارع الاسرائيلية تاركين ارضهم، بعد اغلاق سبل استصلاحها امامهم، فكيف سيكون الحال الان بالنسبة للمزيد من المزارعين في منطقة العوجا؟!

وماذا بعد؟!

ان واقع حال المزارعين يبرز ان كل قرار حكومي تتخذه دوائر الحاكمية العسكرية بخصوص مناطق الاغوار، يكون داعما للهدف السياسي العام في منطقة الاغوار "القضاء على وجود زراعة عربية وتحويل هذه الزراعة للمستوطنات القائمة على حساب الاراضي العربية واشكال تطبيق هذا الهدف كثيرة – كما هو ملاحظ –.

تحقيق
بشار سلام

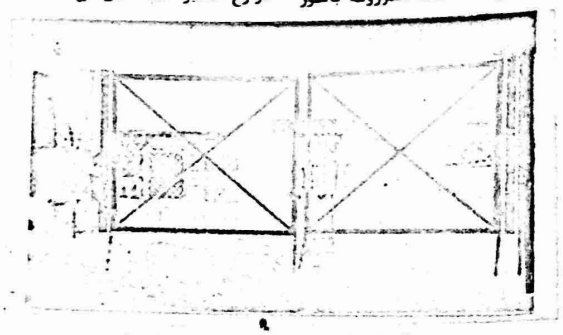

محطة مياه تابعة للمستوطنة لسحب مياه العوجا

المساحة المزروعة بالموز في مناطق الغور منذ عام ٨١ – ٨٤

اسم المنطقة	عام ٨١	عام ٨٢	عام ٨٣	عام ٨٤
اريحا	٥٠٤ دونم	٩٠٣ دونم	٣٤٣ دونم	٥٨٨ دونم
الديوك + النويعمة	٢٣١ دونم	١٢٩ دونم	٢٥٩ دونم	٥٣٣ دونم
العوجا	٣٨٦ دونم	٤١٤ دونم	٤٩٥ دونم	٦٦٧ دونم
الفمايل + الجفتلك	٢٤ دونم	٣٩ دونم	٢٢ دونم	١٦١ دونم

مساحات مزروعة بالبندورة والباذنجان

اسم المنطقة	٨٣ بندورة	٨٣ باذنجان
اريحا	٩٤٩	٦١٩
الديوك + النويعمة	٣٦٣	١٩٨
العوجا	٥٩٤	٤٩٨
الفمايل	١٠٠	٧٠
الحفتلك	٣١٩٦	٢٣٠٩
مرج نعجة والزبيدات	١١٨٥	٢٥٧
بردلة	١٥٢٤	٣٨٥
عين البيضاء	١٤٧٠	٧٢٨
نروش بيت دجن	١٥٠	—

● تناقصت النسبة بـ ٤٠ بالمئة حسب تقدير احد المهندسين الزراعيين.